الوصولي

أقصوصة مصرية
بقلم الأستاذ محمد بك خيزت

بناحية (أبو النمرس) من قرى مديرية الجيزة رجل في العقد الرابع مديد القامة نحيف الجسم خفيف الشارب، وقدمات أبواه وهو صغير فشب يعمل أجيراً في أطيان الملاك كغيره من فقراء الفلاحين.

وكان هذا الرجل طموحا حسودا لا ينحدر إلى ركن غرفته المسقفة بسعف النخيل والقش قبل أن يفكر في أحوال هؤلاء المحظوظين الذين يستعبدون الزراع في فلاحة أراضيهم وهم يقيمون في أحياء القاهرة هانئين مطمئنين فيتملكه الغيظ ويفيض صدره عليهم بالحفيظة

ينظر إلى تلك الغرفة المظلمة الرطبة فيذكر ما لهم من القصور والضياع، ويتناول طعامه البسيط الحقير فيتمثل لعينيه ما ينعمون به من ألوان الطعام الشهي. ولا ينتقل في الصباح المبكر إلى الحقل وهو بعيد عن حدود القرية حتى يخيل إليه أنه يرى عرباتهم الفخمة وخيولهم المطهمة تجرى بهم وهم غارقون في النعيم.

وهكذا يدب البغض في نفسه ويأخذ في النمو على تعاقب الأيام. وبخاصة كلما زار الناحية صاحب الأرض التي يعمل فيها وهو يصيح في رجاله وفيه: «يظهر أنك كسلان يارجل، فمن الخير أن تلتفت لعملك وإلا طردتك»

وعند ذلك يكب بفأسه على الأرض وهو يكظم غيظه ويلعن الأقدار التي حكمت هذا الرجل فيه، وقد أخذت النار تنفذ إلى جسمه، وشررها يتقد في عينيه، والفأس ترتج بين أصابعه المرتجفة حتى لتحدثه نفسه بأن يهوى بها على رأس الشيخ منعا ذلك المالك فيحطمها لولا بقية من رشد يذكر عندها ما هو فيه من مرارة اليتم والفاقة فيهدأ ثورته ويعود إلى عمله؛ حتى إذا ما انصرف الشيخ ألقى بفأسه على الأرض ساخطا وعاد إلى التفكير.

وكان ربحه من مزاولة الزراعة ضئيلا، فتركها وانخرط في سلك العمال الذين يشتغلون في تطهير الترع وتقوية الجسور. ثم عدل عن هذا أيضاً وفكر في أن يشترى مقدارا كافيا من التبناك يمر به على هؤلاء العمال وهو يتنقل في شتى البلدان التي يكثرون فيها بسبب مشروعات الري الجديدة. حتى اجتمع لديه من المال قدر لا بأس به، فحدثته نفسه أن يزاحم صغار المقاولين الذين يعهد إليهم في تنفيذ تلك المشروعات فنجح وأصبح في رغد نسبي من العيش. ولكن عطية (وقد اشتهر بعطية الجحش) كان يطمع في أكثر من ذلك: في ضياع وقصور، وفي جاه يساعده على تحقيق أمانيه التي لا تقف عند حد والتي كان من أشهاها أن يقف يوما ما في وجه ذلك الشيخ ليصفي معه حساب ذلك الماضي القاسي.

وإذا كان عطية قد تعلم مبادىء الكتابة والقراءة وحفظ القرآن وقد وفق إلى جمع هذه الثروة فان كل ذلك لم يغير من أخلاقه التي انبعثت من الشر واتجهت للشر؛ وما كان أبوه إلا لصاً خطيراً، ولا أمه إلا امرأة سليطة اللسان شريرة. حتى إن

عمه السرى تبرأ منه كما تبرأ فيما مضى منها فكان من الدين حلت عليهم لعنته واستوجبوا حقده

واتفق أن هذا الرجل الكريم كان ذات ليلة عائدا إلى داره فشعر فى جنح الظلام بمدية تغوص فى عنقه وفى صدره نخر صريعاً . وقد أقام هذا الحادث رجال الحفظ وأقعدهم ، وبالرغم من عثورهم فوق جانب من سور الحديقة على أثر كف ملوثة بالدم فانهم لم يهتدوا إلى القاتل ولا الى تلك المدية . وقد رأوا أخيراً أن وقوع هذه الجريمة كان لمجرد الانتقام فاتجه خاطرهم إلى عطية الجحش لأنه ابن أخيه وابن أبيه ... وقد قوى هذه القرينة اختفاؤه من ابو النمرس مسقط رأسه، فحكم عليه بالاعدام غيابياً. ويظهر أن القتيل كان قاتاً قبل وقوع هذا الحادث، وأحس دنوّ أجله فأقام الشيخ مناع صديقه وصياً مختاراً على ولده صادق . وهكذا انتقل قصره وأملاكه التى فى أبو النمرس إلى يد الشيخ فقام على إدارتها وعنى بتربية القاصر ، حتى إذا حصل على شهادتى الدراسة الابتدائية والثانوية — كما حصلت عليها وسيمة كريمته — أوفده إلى احدى جامعات التجارة بسويسرا، كما خصص لها أساتذة يحاضرونها فى الدار لإتمام ثقافتها

أما صادق ففتى صبوح الوجه حلو الشمائل، كما أن وسيمة فتاة جذابة رشيقة الحركات ، فكان من ذلك ومن ظروف اجتماعهما تحت سقف واحد أن وقعت من نفسه كما وقع من نفسها . وساعد على نمو هذه العاطفة الطبيعية ما سبق فى نية أبيها من أن يزوجه منها إكراما لذكرى ذلك الصديق

وهكذا كانا يتكاتبان فى رسائل تفيض تارة بالحب وتارة بأحوال المجتمع أو الزواج وما تطور اليه فى العصر الحاضر، تعد من أسمى النماذج فى مثل هذه البحوث . ويتلخص رأيها في الزواج فى كتاب قيم من بين ما كانت ترسل اليه به :

القاهرة فى ٢ فبراير سنة ١٩١١

عزيزى صادق

تسلمت كتابك فخيب إلى المقام فى تلك البلاد العجيبة بجبالها الشامخة البيضاء مما جعلنى أغبطك على اجتلاء مناظرها الساحرة . وكم كان لشرحك مشاهد المتزحلقين والمتزحلقات فوق الثالج من الأثر في نفسى حتى خيل إلىّ أن أهمّ بالطيران نحو هذه الربوع لتشترك عيناى فى الاستمتاع بها مع عينيك الجميلتين .

وكم سرنى أيضا إقبالك على الدرس وأنت تشيد بطلاوة الموضوعات التى تتلقاها كما سرنى أنك من رأيى فيما أوجزته لك عن الزواج فى العهد الحالى .

والواقع أن حجر الزاوية فى الزواج السعيد هو الحب المتبادل بين الزوجين لأنهما متى امتزجت روحاهما توحّدت مصالحهما وامتنعت من بينهما أسباب الشحناء والقلق . ومثل هذا الحب يقتضى اختلاطاً بين الجنسين، حتى إذا كانت فى طبيعة كل منهما جاذبية نحو الآخر كامنة ظهرت ونمت . نعم إن آباءنا وأمهاتنا فى عهد الحجاب كانوا يمقتون مثل هذا الاختلاط وينفرون منه ، ولكن الواقع أن الرجل فى ذلك العهد ما كانت لتقع عيناه إلا على زوجه . وكذلك المرأة ، فكانت علاقة الحب تنشأ بينهما بحكم هذه الصلة الضيقة واستمرارها . وكان يساعد على ذلك ما كان الناس عليه من كرم الخلق وإنكار الذات . فكان للزواج قديماً طابع روحى شفاف لا يتأثر بمغريات المادة . أما فى عصرنا الحاضر

فقد قام منها سد منيع بين العيون والنور فلم يعد الزواج إلا صفقة بين طرفين لا يجمعهما ذلك الرباط المسنون التجانس وإنما هو رباط من المصلحة فى صورها المختلفة من مال أو جاه أو غيرهما . وهكذا يبيع الفتى شبابه لمن هى أكبر منه سناً ليعيش عالة عليها . وتسلم الفتاة فى نفسها لا لشىء إلا إشباع أهوائها ومطامعها . وكل ذلك تحت ستار من الشريعة التى ما كانت حمايتها لغير ما يتفق مع النواميس الطبيعية

وعندى أن الفتاة التى تسقط لإطعام طفلها الجائع أو مساعدة أمها المحرمة البائسة لأكرم ألف مرة من تلك العذراء التى لا ترق إلى سرير الزوجية إلا لتناول المال الذى فوقه لترضى به شهوات زينتها وجنونها . ولذلك فكل علاقة تتم على أساس بعيد عن تلك النواميس ، ولا تقوم إلا على غاية مادية أو مطمع يدفع إليه حب الذات ، ليست فى نظرى إلا دعارة فى أوسع معانيها وإن اختفت عنا حقيقتها تحت غلاف من عقد رسمى على يد مأذون

وكثيراً ما يتعدى هذا الاستهتار أشخاص المتزوجين إلى آبائهم وأمهاتهم فيضحون بهم على هياكل أغراضهم كأنهم من بعض السلع التى يتجرون بها لا يهمهم من أمرها أن يكون المشترى لها شيخاً أو شاباً . ولذلك أصبحنا اليوم أمام أزمة خطيرة قامت حائلا دون تحقيق الغاية المشروعة من الزواج وهى أن يكون طرفاه شريكين متضامنين لمواجهة أعباء الحياة

وما دمنا على هذا الاعتبار من الغالاة فى المهور لمجرد التباهى ، ومن سوء التدبير فى اختيار الشريك الصالح ، ومن البعد عن الروح الحقيقية التى لا يترعرع الزواج إلا بها — ما دمنا لا نتزحزح عن هذا الأساس فقل على الأسرة السلام

(رسيم)

وقد بلغ من حب الشيخ لابنته أنه كان لا يتمرض لحريتها فى الكتابة إلى خطيبها على أى نحو تراه وهو يعلمها مثقفة عاقلة رزينة حتى كانت دائماً البادئة فى عرض ما تكتب عليه . وكم كان يلتذ الموضوعات التى تخوضها والأسلوب الذى تصوغها فيه . وكثيراً ما كان يناقشها وتناقشه وهى تعترف بخطئها إذا رأته على حق ولكنها ما كانت لترميه بالخطأ إذا ابتعد عن الصواب ، فيدرك هذا الأدب منها وهو ينظر إليها فى حنان ورفق معجباً بشعورها معتزاً بها

وكان الشيخ قد جاوز الستين وهو نحيل يشعر بالضعف فأقعده الروماتزم الذى أصابه عن الحركة وأعجزه عن الاستمرار فى إدارة مزارعه ومزارع صديقه حتى زاره ذات ليلة رجل كان قد تعرف به فى بعض مجالس جيرانه اسمه عبد الرازق بك تامر فى العقد الخامس من عمره ، ولكنه قوى تدل ملامحه على الختل والشراسة ، إلا أنهما كانتا تختفيان وراء حديثه اللطيف أو المتكلف وبين حبات المسبحة التى كان لا يفتأ يحركها بين أصابعه

وكان الشيخ مناع يملك فى أبو النمرس حوالى مائة وخمسين فداناً جيدة التربة ، ومثلها لصديقه ، إلا أنها ارتفعت إلى مائتين بعد أن باع الشيخ منزله الذى لم تعد لصادق حاجة به لبعده عنه فعرض عليه هذا الزائر أن يستأجرها جميعاً . وكانت فرصة سانحة فلم يتردد الشيخ فى إجابة هذا الطلب ، وقد قبل الرجل الشروط التى عرضها والقيمة التى قدرها كما

أنه أبدى استعداده لدفع نصف إيجار المدة كلها معجلا. وهكذا عاد إليه فى اليوم الثانى ومعه صورتان من العقد، أخذ يتلوه عليه حتى إذا انتهى وقعا عليهما واحتفظ الشيخ باحداهما أودعها خزانته

وبحكم هذه الصلة الجديدة كان عبد الرازق بك يزور الشيخ من وقت لآخر. وكثيراً ما كان يلتقى وسيمة وهي تطالع كتاباً أو تهيئ رسالة أو تشتغل بالابرة فى زركشة، فيحادثها ويحييه ولكن بغير أن ترفع عينيها فيه لأنها كانت إذا نظرت إليه تولاها الفزع وشعرت بالخوف . وحاجباه الكثيفان يرتفعان وينخفضان كلما تقلصت عضلات جبينه عندما يتكلم حتى لكأنهما من بعض تلك الكتل الحديدية التى يستعين بها الرياضيون فى حركاتهم البدنية . وتحت كل حاجب منهما حفرة غائرة استقرت عند قاعها إحدى عينيه الصغيرتين وهما تبرزان وتختفيان وتتسع حدقتاهما وتضيقان بتأثير الحديث كأنهما عدستا جهاز تصوير شمسي تتحركان بتأثير ما يمر المرئيات من الظلمة أو النور . وكان إذا ضحك انفرجت شفتاه الغليظتان عن أسنان صفراء برز من بينها نابان كنابى الذئب . وفى تموجات ضحكه ما يشبه قرقرة الماء فى قنينة « الترجيلة » أو هدير الأمواج وهى ترتطم بجوانب خليج ضيق

وكان إذا يئس من تلطفها معه ساد سكوت طويل يتناول فى خلاله هذه الفتاة الخلابة الثقفة المتعالية التى تجرح دائماً عزته بسلوكها هذا معه ، وهو رجل غني جميل المندام فى ثوبه الأفرنكى ، وساعته الذهبية وحذائه اللامع ورباط رقبته الحريرى وهو يتموج حول دبوس من اللؤلؤ الثمين رشقه فيه وكان قد علم بحكم اختلاطه بأبيها بالصلة التى بينها وبين خطيبها - فتثور نفسه . ويتمنى لو أنها فى يوم من الأيام تكون له فينزلها عن كبريائها ويخضعها لسلطانه .

وكانت هى أيضاً فى خلال هذا السكوت تحلل هذا المخلوق الغريب الكريه الذي ينم ظاهره عن باطن غامض خبيث . ثم تحدث نفسها كيف يطمع مثل هذا الرجل فى أن يكون يوماً ما زوجاً . بل من هى تلك الفتاة التى تقبل أن تدفن شبابها بين ساعديه إلا إذا كانت على شاكلته : والطيبون للطيبات ، والخبيثون للخبيثات

أما صادق الذى كان قد انتهى من دراسته فقد اضطر إلى البقاء فى سويسرا نظراً لقيام الحرب العالمية الماضية . وكانت مدة الايجار قد انتهت فانقطع المستأجر عن زياراته ، وحمدت وسيمة الله على هذه الفرصة التى من شأنها أن تنقطع صلته بأبيها

وكانت كتب صادق قد انقطعت عن وسيمة فأرجعت ذلك إلى صعوبة المواصلات بسبب الحرب العامة . ولكن كم كانت دهشتها حين وصل إليها كتاب منه يشكو فيه ما حل به من الضيق ويلعن هذه الحرب التى كانت سبباً فى عدم وصول نقود إليه ... حتى باع ساعته وخاتمه وبعض ملابسه وكتبه ليحفظ بثمنها القليل رمقه ...

ولكن الشيخ من عهد انتهاء العقد احتجب فى غرفته وظهرت عليه آثار الهم وبواعث التفكير . ولقد كانت وسيمة فيما مضى إذا أقبلت عليه هش لها وأنس بها فأصبح إذا وقع نظره عليها اضطرب وأخذ يحدثها وصوابه بعيد ونظراته سابحة ضالة . وهو مع ذلك يحاول أن يظهر أمامها فى مظهره الطبيعى ، ولكن تكلفه ما كان ليخفى عليها وهى

حيرى لا تفهم سبب هذا التغير الذى طرأ عليه

على أنها لم يفتها أن تكشف سر آلامه بأسلوب غير محسوس ، إلا أنه كان يتعلل بالمرض وبشواغل الدنيا ؛ فاذا ما سألته عن هذه الشواغل عاد فنفاها وهو يتململ ويرسل اليها نظرات دامعة كأنه يتوسل بها عندها لتكف عن تعذيبه .

وعند ذلك رأت أن تلجأ إلى الجانب اللين وهو أمها ولكنها ما كادت تخاطبها فى شأن أبيها حتى انهمرت دموعها وخنقها البكاء

— لاتلحى يا ابنتى فتعجلى الأيام الباقية له بعد تلك الصدمة التى أصابته

— أية صدمة ياأمى ؟ وكيف لم أعلم بها ؟ تكلمى بالله . إن هذه الصدمة إذا كانت تتناولنى أنا أيضاً فقد أصبح من حقى أن أقف عليها . وإذا كانت تقتصر عليه وحده فإن لى هذا الحق أيضاً لأنه أبى ...

— إن ذلك المستأجر الذى تعهدينه خاطبه فى شأنك

— فى شأنى أنا ؟ تريدين أنه يسعى للزواج منى؟ ان أبى لن يقبل ذلك . على انى لاأرى فى ذلك مايدعو إلى هذا الهم الذي أصبح فيه . فلم لم يبصق فى وجهه ولمَ لم يطرده ؟

— هيهات ياوسيمة

— هيهات ؟ إذن وراء هذا الطلب ماهو أمر منه

— لقد انخدع أبوك بمظهر هـذا الرجل بل هذا الشيطان . ولعلك تذكرين أن عقد الايجار كان لثلاث سنوات، فهذا العقد لم يتجدد لانتهائها، ولكن لأن ذلك الرجل جعله عقد بيع وبسلامة نية أبيك اكتفى بأن يتلوه عليه ثم احتفظ بصورته من غير أن يطلع عليها .

— وهكذا ...

— وهكذا لم يكن تعجيله لنصف الايجار وموافقته على كل شروط أبيك إلا ليوهمه بمقدرته من جهة، وليلهيه عن حقيقة مابيته له من جهة أخرى. وهكذا سجل العقد وانتقل إلى اسمه التكليف فأصبح المالك بغير منازع . ولو أن ما وقع اقتصر على ما كنا لهان الأمر ولكنه تناول أطيان ذلك الفتى المسكين . وقد لوح هذا المجرم لأبيك بأن المجلس الحسبي قد يقف على مثل هذا التصرف فيقع تحت طائلة المسئولية وتصبح سمعته مضغة فى أفواه الناس . ولعله بهذا التلويح كان يحاول الضغط عليه ليقبل ماطلبه بشأنك . ولكنه رفض .

وعند ذلك انحدرت مدامعها وقد أكبرت هذا الأب الرحيم الذى عز عليه أن يبيعها بالرغم من هذا الذى أصبح فيه . وقد أدركت أيضاً سر انقطاع النقود عن خطيبها كما أدركت خطر الهاوية التى أصبحوا جميعاً عند حافتها فعزمت على مواجهة أبيها، ولكنها أسرعت قبل ذلك فباعت ماكان لها من حلى وأضافت إلى ثمنه ماكانت قد اقتصدته ثم أرسلت بذلك كله إلى صادق وهى توصيه بالاقتصاد فى مثل ذلك الوقت الذى ارتفعت فيه أثمان الحاجات وأصبحت الأطيان يكاد إيرادها لايكفى إلا لمصاريفها وماعليها من الأموال . وبعد ذلك اندفعت إلى غرفة أبيها

— أنت هنا ياوسيمة ؟

— نعم يا أبى

— لقد ساءت صحتى؛ وكم أتمنى لو أن ساعتى تحين فاستريح من هذا العذاب

— بل تعيش ياأبى . وستنجلى هذه الغمرة

إن شاء الله . ولكني أطلب اليك شيئاً أرجو ألا يغضبك

— وما هو يا ابنتي ؟

— أن تجيب ذلك الرجل إلى ما طلبه منك بشأني

— أنا ياوسيمة ؟

— نعم .

— ومن العجيب أنك أنت التي تطلبين ذلك . فلمَ ؟

— لأنتقم

* * *

لم تقدم وسيمة على هذه التضحية إلا لتصون أولا سمعة أبيها التي تهددها المستأجر بذلك التلويح، لأنه بحكم هذه الصلة لا يجرؤ على تنبيه المجلس ولو من طريق غير مباشر . ولكن تبقى بعد ذلك أطيان صادق التي يجب أن تعود له وما كان له يد في ضياعها . هذا ما فكرت في توجيه جهودها إليه بعد أن تفرض سلطانها على هذا الغاصب الماتي الحقير

ومن غير شك أن سروره بتمام هذا الزواج كان بشيراً بوقوف الحظ إلى جانبه وقد امتلأت يده من تلك الفتاة الجميلة الجموح وأصبح سيد أبو النمرس بتلك الأطيان الواسعة وبما له من ثروته الخاصة

ولكنه مع ذلك يذكر مابينه وبينها من التفاوت في السن ، وأنها كانت مخطوبة فتى في ربيع الصبا ونضرة الشباب، فكان مجرد تسرب تلك الذكرى إلى خاطره يزعجه ويكدر عليه صفوه . نعم إنه قطع خط الرجوع على تلك العلاقة بعقد زواجه منها . ولكنه كان يريد أيضاً أن تنساها هي وأن يتصرف قلبها إليه وحده ، فاشترى لها حلياً ثمينة ونفحها مبلغاً من المال وفيراً كهدية رأى من الواجب أن يتقدم إليها بها على أثر ذلك العقد

إلا أنه بعد كل هذا يعود فيشعر بالفارق بينها وبينه من حيث الثقافة وكرم المنبت ، فكان كلما هم بالتحدث إليها في شأن الغرض من هذا الزواج ينحل عزمه ويقف لسانه في فمه . وهكذا مرّ شهر واثنان . حتى إذا ضاقت نفسه أمسك بأطراف شجاعته ولمّح لها بغرضه ؛ فأرسلت ضحكة ساخرة ساخرة وهي تقول : لمَ هذه العجلة وقد أصبحت لك ؟ ولكن الذي تطلبه أدعى إلى الصبر والتمهل حتى أروض نفسي عليك فنمتزج ونأتلف . أما قبل ذلك فلا يكون للزواج إلا معنى واحد هو الاغتصاب ولا أظن أن نفسك الرقيقة ... ترضاه

وعند ذلك يغلب عليه الخجل ويتقهقر . وقد خيل إليه مع ذلك أنها بدأت تجاهد نفسها لتنسى ذلك الذي كان أحق بها منه . وهكذا يمر شهران آخران ...

وكانت أم صادق على أثر وفاة زوجها تقيم في دار الشيخ وهي لا تجهل ما بين ابنته وولدها من الصلة، وأن النية كانت متجهة إلى زواجها منه؛ فلما رضي لها أبوها غيره انكسرت نفسها وغلب الحزن عليها وهي شيخة مضمضمة فقضت نحبها . وكان في ذلك فسحة جديدة تحول بين عبد الرازق بك المتحرّق وبين أمنيته

ولكن وسيمة في خلال ليالي المأتم طرق أذنها همس بين بعض الزائرات عن ذلك الزوج الذي صارح أباها بأنه لم يسبق له زواج مع أنه تزوج من اثنتين على التعاقب ماتت إحداهما مسمومة والأخرى محروقة. وعند ذلك اضطربت نفسها واسودت الدنيا

فى عينيها ، لأنهما إما أن تكونا آثرتا الموت على شراسة هذا الرجل؛ وإما أن يكون هو الذي قضى عليهما . وليس مثل هذا ببعيد عليه وهو الذى ماتت نفسه فدس إلى أبيها ذلك العقد المزور

ولكن الذى شغل بالها وأفزعها أنها ربما كان لها عنده مثل هذا النصيب أيضا. وعندذلك تفكرفى العودة إلى حجر أبيها ثم تسمى فى الطلاق على أية صورة . إلا أنها تعود فتصطدم بذلك الغرض الذى ضحت بنفسها من أجله وهى لو فعلت ذلك لقضت على كل ما هيأت نفسها له ومهدت لهذا الوحش سبيل الخروج ظافرا بما حصل عليه دون جزاء . فشد ذلك من عزمها وضاعف شهوة الانتقام فيها وقد أصبح عليها أن تنتقم لا لأبويها وحبيبها فحسب ولكن لبنات جنسها أيضا .

لذلك رأت من حسن الرأى أن تأخذه باللطف والحيلة لتكشف حقيقته ، فلما عادت إلى داره وأثر الحزن باد فى عينيها هشت له فغمره السرور ولمس فى ذلك دليلا جديدا على تقدمها فى طريق نسيان غريمه .

وتشاء المقادير أن يسافر لشأن من الشؤون وكان قد نسى سلسلة مفاتيحه ومن بينها مفتاح مكتبه فأسرعت تفتش فى أدراجه حتى وقع نظرها على حزمة من خطابات مرسلة من بعض المقاولين بعنوان « عطية الجحش » وكانت تعلم أن هذا الرجل هو الذى حكم عليه لقتله والد حبيبها . فما الذى جعل هذه الرسائل تستقر فى هذا المكتب ؟ وما هى العلاقة التى تربط زوجها بهذا الرجل ؟ وبينما هى فى سبيل جرد ما بقى من تلك الرسائل وجدت أن إحداها خطاب مرسل من نفس ذلك القاتل وفى أسفله الرد عليه . وعند ذلك انتفضت مذعورة وكأنها استيقظت من حلم مزعج عنيف . لأنها رأت أن خط الخطاب لا يفترق فى شىء عن خط زوجها . إذن لم يكن ذلك القاتل غير هذا الذى تسكن معه وحدها فى تلك الدار .

وقد وجدت أيضاً فى درج آخر مدية ذات حدين ملوثة بدم متجمد فكاد يغشى عليها وقد ارتجف جسمها وزاغ بصرها ولكنها تمالكت نفسها وأعادت كل شىء إلى مكانه وتلك السلسلة حيث وجدتها .

وكانت فترة الأربعين قد انقضت ، وسيعود من سفره فى مساء الغد ، وهو لا بد سيكرهها على تنفيذ ما يطلب منها بعد أن صبر عليها وفرغ صبره ، فلم تر إلا أن توقف مأمور القسم القريب على كل ما اهتدت إلى كشفه

ولقد وقع الذى حسبته ، فانها ما كادت تستقبل زوجها حتى ضمها إلى صدره وهو يقول : هذه المرة لن يقبل منك أى عذر . فحسبى تلك الشهور الطوال التى حالت بينك وبينى . تعالى يا حبيبتى . ثم جلس إلى جانبها فوق منضدة بالغرفة ، ولكنها ابتعدت عنه فاقترب هو منها قائلا :

يظهر أنك لازلت تفكرين فى ذلك الأبله الذى قطعت عليه سبيل كل أمل فيك . ثم لم لا يستمتع الكهول كالشبان بحسنات الحياة ؟ ومع ذلك فهل يظهر شبابك الغض إلا إلى جانب شيخوخة . أو يبدو رونق شعرك الفاحم إلا إذا جاوره هذا الشعر الأبيض الذى يكلل رأسى ؟ اعلمى يا وسيمة

أن أنفاسك العاطرة هى كنزى الذي يعيد إلى حرارة الحياة ، وأن سحر عينيك ليبعث فى عينىّ الذابلتين القوة والنور من جديد . فلم تقفين بينى وبين هذه السعادة ؟ تعالى يا حبيبتى . اقتربى منى

ولكنها مع ذلك ازدادت بعداً ثم التفتت تسأله:

— قل لي أولا أصحيح أنك لم تتزوج من قبلى؟

— لقد صارحت أباك بهذا

— ولكن الناس يقولون إنك تزوجت من قبل باثنتين

— كاذبون . وحتى لو صح هذا فماذا فيه ؟

— ولكنهم يقولون أيضاً إن إحداهما ماتت مسمومة والأخرى محترقة

— ليكن كل هذا . ولكن اعلمي أن الحياة مرحلة قصيرة يجب أن نجتازها من طريق المال والجاه والحب . وقد يخدع الأغبياء مظاهر التقوى بالأسارير التى تشقّ جبيني . وبهذه المسبحة التى تحرك حباتها أصابعى . وما كانت الأولى إلا سطور دهائى وتدبيرى ، ولا الثانية إلا الحبل الذى أشد به على عنق كل من يقف فى طريقى . وإذا كنت قد تزوجت باثنتين قصتا نحبهما على الصورة التى ذكرت فليس لأى كان حساب بشأنهما عندي

— وعذاب الضمير ؟

— ها . ها . وهل تريدين أن يكون لمن يسعى إلى مباهج الحياة ضمير ؟ لم تكن الحياة فى أى عصر إلا شملة تسعرها المصلحة ويذكيها حب النفس . فلا تظنى أن رجل اليوم تغير عن رجل الماضى فكلاهما واحد فى البطش وان اختلفت وسائل كل منهما

— وشرف النفس ؟

— لانصيب لها منه ولا من الوجدان والرحمة وهذه الخرافات التى يتكرها كل من يريد أن يحيا . ولقد كان رجل القرون الغابرة اذا نازل خصمه ترك له السبق فى الطعن ولو مات مدفوعا إلى ذلك بفروسية ذهب زمنها . وكان قرنى اذا صرعنى ندم وبكانى . أما اليوم فقد يقتلنى فى الصباح وفى المساء ويقبل على الطعام والشراب والنساء كأن ماجرى لم يكن : هذه هى شريعة العصر الحاضر عصر المادة . وأخيراً ، فما دمت زوجتى فلا مناص لك منى

— بالقوة ؟

— بكل الوسائل . والآن لا أطلب عندك إلا كلمة واحدة نعم أولا .

— لا

— ولكنى لازلت أحتفظ بمدية غير بكر ... لأنها جربت كيف يكون مصرع كل من يتحداها فخذى حذرك واعلمى أنى قادر على أن أغيبها فى صدرك فألحقك بتينك الراحلتين وإلا لا أكن أنا عبد الرازق بك تامر ...

— أو عطية الجحش

— ماذا ؟ أوقفت على هذا أيضا ؟ إذن فلتذهبى فى أثرهما .

وعند ذلك انطلق إلى غرفة مكتبه فخرج رجال الشرطة من مكامنهم . حتى إذا عاد والمدية فى يده أحاطوا به

وهكذا نفذ حكم الاعدام وانتصر الحق .

محمود خيرت

(٢)